

## في العمق

لغز زعيم القاعدة الغائب الحاضر  
في المشهد الأفغاني

خطاب الظواهري يشي برغبة في اللحاق بركب طالبان كحركة شعبية



## لامجال التصعيد

كما في اليمن وسوريا والصومال، على المركز وبروز قيادات تلك الأفرع ومفاسدتهم لسلطة الظواهري نفسه، وغالبيتهم باتوا معتنقين لمنهجية العدو القريب ومتخلين عن فكرة محاربة العدو البعيد ويركزون على الأنظمة المحلية القريبة في بلادهم.

ولم يكن أمام الرجل معتقل الصحة والمطلوب أمنياً بمكافأة هي الأعلى بين إرهابيي العالم (25 مليون دولار أميركي) إلا أن يبدو متوافقاً مع تلك القناعات التي عزت أفرع تنظيمه حتى يستطيع السيطرة على الانقسامات التي تضاعفت في الفترة الأخيرة ويستعيد بعض مكانته داخل التنظيم. أضف إلى ذلك محاولة إنقاذ التحالف بين القاعدة وطالبان خاصة أن الأخيرة كانت واضحة عبر تصريحات قادتها الراضين لوجود بيعة بين الطرفين والتي وضح منها أن طالبان وضعت القاعدة بين خيارين: إما تعديل الوجهة وضبط البوصلة وتغيير الاستراتيجية أو كشف الغطاء السياسي والأمني عنه.

تحول تنظيم القاعدة الآن تحت وقع الضغوط عليه من كل اتجاه من منجنية بسيطة قائمة على أيديولوجيا المقاومة الجهادية التي انتشرت بين المقاتلين من خريجي الحرب الأفغانية، قادتهم في البداية شبكة مركزية ثم تحولت إلى لامركزية توجه عقائدين إلى ضرب الولايات المتحدة والغرب بناء على فتوى تبيح قتال اليهود والنصارى أينما كانوا، إلى لاعب براغماتي لا يطلق الفتاوى بل الرسائل السياسية التي تلخص في أنه لم يعد يمثل خطراً على العالم كما كان في السابق.

وصاحبت رسائل أيمن الظواهري غير المباشرة لطالبان التي لم يذكرها بالاسم رسائل أكثر وضوحاً للولايات المتحدة والمجتمع الدولي، حيث يدرك أنه لا مفر من التسليم بالامر الواقع لأن الانسحاب الأميركي وسيطرة طالبان لا يعينان عودته إلى سيرته الأولى، فواشنطن التي حصدت كبار قيادات التنظيم عبر الطائرات بدون طيار لن تقف مكتوفة الأيدي وهي ترى التنظيم يعيد بناء نفسه على ذات الخطط والبرامج القديمة مهدداً مصالحها وأمنها القومي بعد كل هذه الخسائر التي تكبدتها على مدار عقدين.

ما أظهره الظواهري من خطاب مرز وبرغامانية متخلياً عن أيديولوجية تنظيمه المستوحاة من فكر زعيمه ومؤسسه أسامة بن لادن والقائمة على تنفيذ هجمات خارجية ضد القوى الغربية، ومن انفتاح مع كبات أو أشخاص يوفرون له ولقادة طالبان العمل مع الغرب، يشي بتحول مفصلي كبير مؤسس على إرادة التطور واللاحق بركب طالبان للتحول إلى حركة جماهيرية أكثر شعبية وانتشاراً عما كان عليه.

فيه عن توجه استهداف العدو البعيد أي الولايات المتحدة والغرب، والانشغال بما تشغل به طالبان بشأن تكريس هيمنتها وإنهاء أي حركات تمرد ضدها من خصوم ومنافيسي الداخل.

ويتسق التحول الواضح في استراتيجية القاعدة ليس فقط مع ما تريده طالبان من التنظيم حتى لا تتجاوز الأخير الأحداث وتضطرب الحركة الأفغانية لخيارات أخرى لحماية مصالحها وإمارتها الجديدة، علاوة على أنه لا يتعارض مع مساعي وخطط سابقة لتعديل منهجية التنظيم على ضوء ما جرى بعد تفجيرات سبتمبر 2001.

وكانت وثائق "أبوت آباد" التي عثرت عليها القوات الأميركية التي قتلت بن لادن في مخبئه بباكستان أظهرت إرادة مشتركة بين الظواهري وأسامة بن لادن تتعلق بالحاجة إلى إعادة تسمية تنظيم القاعدة بما يشمل تعديل منهجيته، حيث صار الاسم والمنهج مرادفين لأعمال عنف مروعة ضد المسلمين والعرب، فضلاً عن نفور غالبية العرب والمسلمين من سيرة التنظيم الذي تسبب نتيجة مغامراته غير المحسوبة في كوارث وماس مؤلمة لبلدان وشعوب إسلامية، علاوة على المعاناة التي لقيها مسلمون يقيمون في الغرب.

وتخدم المرونة واللهجة المخففة التي استخدمها الظواهري في حديثه الأخير مصالحيه طالبان التي تريد من تنظيم القاعدة في المرحلة المقبلة أن يكون مجرد أداة وظيفية في بيده الداخل الأفغاني، ويبدو للوقى الخارجية شها لا يفرق إذا بقي في أفغانستان أو رحل عنها ولا يستدعي وجوده أي قلق منه.

كما أنها تخدم الظواهري الذي بحث طوال الأعوام الماضية عن وسيلة يستطيع بها فك العزلة التي يعاني منها بسبب الانقسام داخل التنظيم وتغول الأفرع،

في فيديوهات بعد هذا التاريخ منوهاً بأحداث وقعت بعده.

تطرق زعيم القاعدة في الإصدار المرئي الأخير إلى وقائع مثل هجوم ثل السمن في يناير 2021 ضد القوات الروسية في الرقة والانسحاب الأميركي من أفغانستان وإن كان لم يصل إلى مستوى مواكبة دخول طالبان كابول وهيمنتها على الحكم في أفغانستان ما يعني أنه حسي لكنه يعانى نتيجة ضعف أداء منظومته الإعلامية وعزلته الإجبارية عن الواقع من عدم المقدرة على مواكبة الأحداث والعجز عن التفاعل اللحظي مع التطورات الحالية المتسارعة.

ورغم أن فحوى خطابات الظواهري عادة تكون بعيدة عن الأحداث الجارية وغير مواكبة للحدث الآني، إلا أنها من خلال التركيز على قضايا فكرية وفلسفية مثل "الإحسان" و"اللاهوت المسيحي" فضلاً عن تناول قضايا سياسية بعيدة عن قضية القاعدة المركزية الأم وهي العداء للولايات المتحدة والتحريض على تقويض هيمنتها وضرب مصالحها ومواجهة نفوذها، تحمل العديد من الدلالات بشأن التحولات التي يجريها الظواهري على منهجية القاعدة واستراتيجيتها بما يتواءم مع مصالح طالبان وحرضها على تأمين سلطتها الجديدة.

## دلالات سياسية متباينة

لم يذكر أيمن الظواهري في كلمته الأخيرة اسم الولايات المتحدة ولم يتطرق إلى أحداث الحادي عشر من سبتمبر إلا على سبيل باحاث سياسياً أو مراقباً للأحداث وليس صانعاً لها، وتحدث في سياق سرد تاريخي لما تعرضت له الأمة الإسلامية من تحديات أتية من الخارج قائلًا "وما هي الولايات المتحدة تخرج من أفغانستان منكسرة بعد حرب عشرين سنة".

ويقطع النظر عن اللهجة المخففة التي وصف بها الظواهري الخروج الأميركي من أفغانستان التي لطف بها الأجواء بعد العبارات القاسية التي استخدمها بيان تنظيم القاعدة المركزي السابق في تهنة طالبان بالنصر وبيانات أفرع التنظيم وتصريحات قادته وعناصره، فسياتي الطرح الذي يلج عليه زعيم القاعدة يؤشر إلى تحول يبدو أنه لا رجعة

بثت مؤسسة السحاب التابعة لتنظيم القاعدة رسالة مرئية لزعيمة أيمن الظواهري بمناسبة الذكرى العشرين لهجمات الحادي عشر من سبتمبر، وكشف المحتوى بالنظر إلى ما سبقه من إصدارات ومتغيرات الوضع الراهن في أفغانستان أن التنظيم راغب في تعديل استراتيجيته ليتواءم معها ويتأهل للانفتاح من ورائها.

هشام النجار  
كاتب مصري

القاهرة - يعكس الإصدار المرئي الأخير لتنظيم القاعدة أنه يريد إثبات أن زعيمه أيمن الظواهري لا يزال على قيد الحياة، لينفي شائعات دارت حول موته راجعت العام الماضي، والحرص على إقناع طالبان بأن تنظيم القاعدة تغيير ولن يشكل تهديداً على مستقبل الحركة في الحكم عبر التأكيد على تراجع التنظيم عن أيديولوجيا العنف المعلوم وتحول اهتماماته باتجاه قضايا الشعوب الإسلامية والأقليات المسلمة المضطهدة حول العالم.

ويدرك زعيم القاعدة أن ما يهم طالبان الآن في المام الأول تثبيت قدمها في السلطة والحصول على اعتراف دولي بتشرعيتها وجذب الاستثمارات والمساعدات الاقتصادية من الخارج لتمكينها من الإقلاع بالدولة والخروج من سيناريوهات الفوضى والصراعات الاجتماعية والحرب الأهلية، ما يعني احتمال تدهور العلاقة مع التنظيم إذا لم يُجرِ مراجعات على مناهجه وتوجهاته وخطابه القديم الذي كان سبباً في إنهاء حكم إمارة طالبان منذ نحو عشرين عاماً. وحاول أيمن الظواهري عبر إبعاده المتعمد عن نظرية استهداف العدو البعيد والتركيز على أوضاع وقضايا محلية وتسلط الأضواء على العدو القريب ممثلاً في الأنظمة الإسلامية والعربية المستبدية التي لا تحكم بالشريعة -وفق وصفه- إقناع علاقة تنظيمه مع طالبان متداركاً الأثر السلبي الذي تركه بيان القاعدة المركزي الأخير الصادر في الأول من سبتمبر الماضي والخاص بتهنئة طالبان بالنصر الذي وردت به عبارات قاسية في وصف الولايات المتحدة وهزيمتها المذلة، كذلك وقع الحفاوة التي قابلت بها بعض أفرع القاعدة عقب الانسحاب الأميركي ودخول طالبان كابول.

بعث الظواهري من بين سطور كلمته، والتي يبدو أنه جرى تسجيلها في وقت سابق لدخول طالبان كابول الشهر الماضي، رسائل لمن يفهم الأمر في أفغانستان وخارجها فحواها أن تنظيمه لم يعد كما كان في السابق كحركة جهاد عالمي تستهدف المصالح الغربية والأميركية، وأنه توقف عن الصراع الساخن مع الغرب ويُعزَم نفسه بما التزم به طالبان بشأن عدم جعل الساحة الأفغانية مركزاً للتدريب والتخطيط لتنفيذ عمليات ضد قوى خارجية بعيدة أو قريبة.

## ميت أم حي؟

واضح أن الظواهري الذي يعتمد على هيئة إعلامية محدودة المستوى تعاني من البطء الشديد في التفاعل مع الأحداث نتيجة استهداف أهم رموزها وكوادرها، في مقدمتهم حسام عبدالرؤوف نزار الظواهري الأمين والمسؤول الإعلامي بالتنظيم ونتيجة التضيق الأمني، لم يعد يهيم في المقام الأول إثبات حياته من عدما بقدر توحيه تأمين مستقبله وانتهاز الفرص لإظهار أن تنظيمه نفسه لا يزال يتنفس وعلى قيد الحياة ولم ينحدر بعد إلى هاوية التفكك والانهايار. يحضخ الخروج الآن إلى العلن بالفعل شائعات وفاته التي تم إطلاقها من خلال أحد الصحفيين المخصصين في شؤون الإرهاب بناء على معلومة استقتها من بعض قادة تنظيم حراس الدين المرتبط بالقاعدة في سوريا في نوفمبر 2020، فيما خرج الظواهري

قطر في تشاد:  
من دعم المعارضة  
إلى دور الوسيطالدوحة تعيد إلى الذاكرة  
بداية نشاطها الأكبر من حجمها

الدوحة - عقد أمير قطر الشيخ تميم بن حمد آل ثاني الإثنين مباحثات مع رئيس المجلس العسكري التشادي الفريق محمد إدريس ديبي، وبحث معه وسائل تطوير العلاقات بين البلدين خلال زيارة بداها الأخير للدوحة الأحد، ركزت أيضاً على فتح مسارات جديدة للحوار مع المجموعات التشادية المعارضة المتواجدة على الأراضي القطرية، في محاولة لنجاح الحوار الوطني الذي دعا إليه ديبي لإنهاء النزاع.

ويقع تيمان إريديمي رئيس "اتحاد قوى المقاومة" في الدوحة المنتظر أن يلتقيه ديبي، وهو أحد قادة التمرد الرئيسيين ويضم تحالفه فصائل عدة فرّ عدد من قاداتها إلى قطر بعد انشقاق متيسر عن نظام الأب إدريس ديبي الذي لقي مصرعه في أبريل الماضي. وأبدى اتحاد قوى المقاومة ترحيبه بالحوار العام، مؤكداً أنه "لا يرفض يد النظام المدسودة، لكن تنتظر الخطوة العملية الأولى من نجاحها".

وقال الخبير في الشؤون الأفريقية محمد الدابولي إن قطر لديها تاريخ من دعم الجماعات المناهضة للنظام الحاكم في تشاد، لكنها توظف حاجة ديبي الابن لخلق شرعية سياسية بالداخل عبر الدعوة إلى الحوار للحصول على المزيد من المكاسب التي ترسخ أقدامها في بلد يحتل موقعا جغرافيا متميزا في وسط القارة.

وأضاف في تصريح لـ"العرب" أن زيارة ديبي حاليا تعبر عن رغبته في امتصاص غضب الجماعات المعارضة في شمال البلاد في ظل اشتغال الأوضاع بمنطقة الساحل والصحراء التي تشهد موجات عنف وإرهاب وانقلابات منذ بداية العام الجاري، ويجاوب الرجل تهدة الأوضاع وتسكين الحرب مع قوى تملك نفوذاً كبيراً في المناطق الحدودية للدول في شركات معها تضم ترسيخ سلطته.

ويقول مراقبون إن إمكانية نجاح قطر في وساطتها مشكوك فيها بفعل التعقيدات السياسية والأمنية بين النظام الحاكم، والمعارضة التي كانت الدوحة جزءاً منها بفعل دعمها للمتمردين وانتقالها كطرف وسيط لا ينسجم مع رغبة تيار داخل الجيش تحفظ على وجود ديبي الابن على رأس السلطة ويشكك في نوايا قطر، ويرفض أي مصالحة تضاعف من نفوذ الحركات المعارضة على حساب قيادات عسكرية كبيرة.

وقد تتدخل فرنسا وتفرمل تحركات ديبي تجاه الدوحة لأنها تدرك أن الدور القطري يخدم مشروعات معادية لنفوذها، ويصعب مباشرة في صالح تركيا وروسيا، وهي لا تغفل عن دور عناصر "فاغنر" الروسية في الجنوب الليبي في دعم متمرد تشاد. وتشكل حالة الهشاشة الراهنة في تشاد مطعماً لقوى إقليمية ودولية عديدة ترغب في إيجاد موطئ قدم لها في الأراضي التشادية وتوظيفها كنقطة انطلاق نحو دول أفريقية يتصاعد فيها دور تنظيمات إرهابية.

ويقيم تيمان إريديمي رئيس "اتحاد قوى المقاومة" في الدوحة المنتظر أن يلتقيه ديبي، وهو أحد قادة التمرد الرئيسيين ويضم تحالفه فصائل عدة فرّ عدد من قاداتها إلى قطر بعد انشقاق متيسر عن نظام الأب إدريس ديبي الذي لقي مصرعه في أبريل الماضي. وأبدى اتحاد قوى المقاومة ترحيبه بالحوار العام، مؤكداً أنه "لا يرفض يد النظام المدسودة، لكن تنتظر الخطوة العملية الأولى من نجاحها".

هبة الشبيشي  
المقاربة الجديدة  
للدوحة في تشاد قد  
تواجه عقبات متباينة

والتق رئيس المجلس العسكري هذه الإشارة وبارز بزيارة الدوحة كمنهج لعدد من معارضيه، أملاً في تحصين نفسه من أي مواجهات حادة تقودها المعارضة في ظل الأوضاع الهشة التي تشهدها البلاد بعد مصرع والده.

ووجدت قطر في مساعي السلطة الانتقالية في تشاد فرصة مناسبة للانتقال من خانة دعم المعارضة إلى الدخول كوسيط بين الأطراف المتنازعة، ما يعزز حضورها في تشاد عبر لعبها على محاور متعارضة تضمن استمرار نفوذها حال حدوث تغيرات سياسية مفاجئة وحدثت تحولات كبيرة في الأوضاع مستقبلاً.

ويعد هذا الحماس إلى الذاكرة طريقها أول ما بدأت في تسجيل النشاط خارج ما يسمح به "حجتها" خاصة قبل وبعد ما عرف بـ"الربيع العربي"، حيث حرصت على التدخل في العديد من الملفات الإقليمية وهو ما انتهن بانتفائها على نفسها بعدما اتهمت بدعم الإرهاب وتنظيمات الإسلام السياسي.

ورغم أن الدوحة سبق وأن تورطت بشكل مباشر في دعم قوى معارضة لنظام الرئيس ديبي الأب وتوترت علاقتها مع نظامه، إلا أنها حرصت على إقامة علاقات مع المجلس العسكري الذي يتولى زمام الأمور في البلاد. وتعددت الزيارات الدبلوماسية بين المسؤولين في البلدين الأشهر الماضية، وسعت الدوحة إلى الظهور بدور الداعم لآمن واستقرار تشاد وإدانة كل أعمال العنف التي من شأنها عرقلة خارطة الطريق التي أعلن عنها ديبي الابن.

وأوضحت أسنادة العلوم السياسية بكلية البحوث والدراسات الأفريقية بالقاهرة هبة الشبيشي أن تجارب غالبية الدول الأفريقية تشير إلى فشل محاولات احتواء المعارضة وتنتهي معظم الصراعات إلى هيمنة سلطة



في انتظار الحل